عقيدة أهل الإسلام

(للشيخ الأكبر مُحي الدين العربي[٤])

قال الشيخ الإمام العالم العامل محي الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن علي بن العربي: هذه رسالة تتضمن ما ينبغي أن يعتقد في العموم وهي عقيدة أهل الإسلام، مسلمة من غير نظر إلى دليل ولا إلى برهان. فيا أخوتي المؤمنين ختم الله لنا ولكم بالحسنى، لما سمعت قوله تعالى عن نبيه هود عليه السلام حين قال لقومه المكذبين به وبرسالته: إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه. فأشهد عليه السلام قومه مع كونهم مكذبين به على نفسه بالبراءة من الشرك بالله والإقرار باحديته، لما علم عليه السلام أن يستوقف عباده بين يديه ويسألهم عما هو عالم به لإقامة الحجة لهم أو عليهم حتى يؤدي كل شاهد شهادته. وقد ورد أن المؤذن يشهد له مدى صوته من رطب ويابس وكل من سمعه. ولهذا يُدبر الشيطان عند الآذان وله حصاص، وفي رواية وله ضراط. وذلك حتى لا يسمع نداء المؤذن بالشهادة، فيلزم أن يشهد له فتكون تلك الشهادة له من جملة من يسعى في سعادة المشهود له. وهو عدو محض ليس له إلينا خير البتة. وإذا كان العدو

---

(٤) نقلاً عن كتاب "الهدية السعدية"، وهو مجموعة ست رسائل لبعض علماء الإسلام طبعت بمطبعة النجاح، لصاحبها مُحَمَّد حسين الترزي.

لابد أن يشهد لك بما أشهدته على نفسك، فأحرى أن يشهد لك وليك وحبيبك من هو على دينك وملتك، وأحرى أن تشهده أنت على نفسك بالوحدانية والإيمان في دار الدنيا. فيا أخواني ويا أحبائي رضي الله عنكم، أشهدكم عبد ضعيف مسكين فقير إلى الله تعالى في كل لحظة وطرفة، وهو مؤلف هذا الكتاب ومنشؤه، أشهدكم على نفسه بعد أن أشهد الله وملائكته ومن حضر من المؤمنين ومن سمعه، أن يشهد قولاً وعقداً أن الله تعالى إله واحد لا ثاني له في ألوهيته، منزه عن الصاحبة والولد، لا شريك له، ملك لا وزير له، صانع لا مدبر معه، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده، بل كل موجود سواه مفتقر إليه تعالى في وجوده، والعالم كله موجود به، وهو أوجده وهو متصف بالوجود لنفسه، لا افتتاح لوجوده ولا نهاية لبقائه، بل وجود مطلق غير مقيد قائم بنفسه، ليس بجوهر متحيز فيقدر له المكان، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء، ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء، مقدس على الجهات والأقطار، مرئي بالقلوب والأبصار، إذا شاء استوى على عرشه كما قاله، وعلى المعنى الذي أراده، كما أن العرض وما سواه به استوى. وله الآخرة والأولى، ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول. لا يحده زمان ولا يقله مكان، بل كان ولا مكان وهو على ما عليه كان. خلق المتمكن والمكان، وأنشأ الزمان وقال أنا الواحد الحي لا يؤده حفظ المخلوقات، ولا يرجع إليه صفة لم

يكن عليها من صنعه المصنوعات. تعالى أن يحله الحوادث، أو يحلها أو تكون بعده أو يكون قبلها، بل يقال كان ولا شيء معه. فإن القبل والبعد من صيغ الزمان الذي أبدعه، فهو القيوم الذي لا ينام، والقهار الذي لا يرام. ليس كمثله شيء. خلق العرش وجعله حد الاستواء، وأنشأ الكرسي وأوسعه للأرض والسموات. العلي اخترع اللوح والقلم الأعلى وأجراه كاتباً بعلمه في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء. أبدع العالم كله على غير مثال، سبق وخلق الخلق، وأخلق الذي خلق. أنزل الأرواح في الأشباح أمناً، وجعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلقاً. وسخر لنا ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، فلا تتحرك ذرة إلا إليه، وعنه خلق الكل من غير حاجة إليه، ولا موجب أوجب ذلك عليه، ولكن سبق بأن يخلق فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو على كل شيء قدير. أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً. يعلم السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، كيف لا يعلم شيئاً وهو خلقه، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير. علم الأشياء قبل وجودها. ثم أوجدها على حد ما علمها فلم يزل عالماً بالأشياء. لم يتجدد له علم عند تجدد الأشياء، وأحكمها وبه حكم عليها من شاء وحكمها. علم الكليات على الإطلاق، كما علم الجزئيات بالإجماع من أهل النظر الصحيح واتفاق، فهو عالم الغيب والشهادة فتعالى الله عما يشركون. فعال لما يريد فهو

المريد الكائنات في عالم الأرض والسموات. لم تتعلق قدرته بشيء حتى أراده، كما أنه لم يرده حتى علمه، إذ يستحيل في العقل أن يريد ما لم يعلم أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريده، كما يستحيل أن يوجد نسب هذه الحقائق في غير حي، كما يستحيل أن تقوم الصفات بغير ذات موصوفة بها. فما في الوجود طاعة ولا عصيان، ولا ربح ولا خسران، ولا عبد ولا حُر، ولا برد ولا حر، ولا حيوة ولا موت، ولا حصول ولا فوت، ولا نهار ولا ليل، ولا اعتدال ولا ميل، ولا بر ولا بحر، ولا شفع ولا وتر، ولا جوهر ولا عرض، ولا صحة ولا مرض، ولا فرح ولا ترح، ولا روح ولا شبح، ولا ظلام ولا ضياء، ولا أرض ولا سماء، ولا تركيب ولا تحليل، ولا كثير ولا قليل، ولا بياض ولا سواد، ولا رقاد ولا سهاد، ولا ظاهر ولا باطن، ولا متحرك ولا ساكن، ولا يابس ولا رطب، ولا قشر ولا لب، ولا شيء من هذه النسب المتضادات منها والمختلفات والمتماثلات إلا وهو مراد الله تعالى. وكيف لا يكون مراداً له وهو أوجده. وكيف يوجد المختار ما لا يريد. لا راد لأمره ولا معقب لحكمه. يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويضل من يشاء ويهدي من يشاء. وما شاء كان وما لم يشأ أن يكون لم يكن. لو اجتمع الخلايق كلهم على يريدوا شيئاً لم يرد الله تعالى أن يريدوه ما أرادوه، أو يفعلوا شيئاً لم يرد الله إيجاده وأرادوه عندما أراد منهم أن لا

يريدوه ما فعلوه، ولا استطاعوا على ذلك ولا أقدرهم عليه. فالكفر والإيمان، والطاعة والعصيان، من مشيئة وحكمه وإرادته، ولم يزل سبحانه موصوفاً بهذه الإرادة أزلاً والعالم معدوم غير موجود، وإن كان ثابتاً في العلم في عينه، ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدبر عن جهل أو عدم علم، فيعطيه التفكر والتدبر علم ما جهل جل وعلا عن ذلك، بل أوجده عن العلم وتعيين الإرادة المنزهة الأزلية القاضية على العالم بما أوجدته عليه من زمان ومكان أكون وألوان. فلا مريد في الوجود وعلى الحقيقة سواه، إذ هو القائل سبحانه: وما تشاءون إلا أن يشاء الله، وإنه سبحانه كما علم فاحكم وأراد فخصص وقدر فأوجد، كذلك سمع ورأى ما تحرك أو سكن أو نطق في الورى، من العالم الأسفل والأعلى. ولا يحجب سمعه البعد فهو القريب، ولا يحجب بصره القرب فهو البعيد. يسمع كلام النفس في النفس وصوت المماسة الخفية عند اللمس. ويرى السواد في الظلماء والماء في الماء، ولا يحجبه الامتزاج والظلمات ولا النور وهو السميع البصير. تكلم سبحانه، لا من صمت متقدم ولا سكون متوهم، بكلام قديم أزلي كسائر صفاته من علمه وإرادته. وكلم به موسى عليه السلام سماه التنزيل والزبور والتوراة والإنجيل، من غير حروف ولا أصوات ولا نغم ولا نغمات. بل هو خالق الأصوات والحروف واللغات. فكلامه سبحانه من غير لهات ولا لسان، كما أن سمعه من غير واضمخة ولا

آذان، كما أن بصره من غير حدقة ولا أجفان، كما أن إرادته من غير قلب ولا جنان، كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظر في برهان، كما أن ذاته لا تقبل الزيادة والنقصان. فسبحانه سبحانه من بعيد دان عظيم السلطان عميم الإحسان جسيم الامتنان. كل ما سواه فهو من جوده فائض فضله وعدله الباسط له القابض، أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه. لا شريك له في ملكه. إن أنعم فنعم فذلك فضله، وإن أبلى فعذب فذلك عدله. لم يتصرف في ملك غيره فينسب إلى الجور والحيف. ولا يتوجه عليه لسواه حكم فيتصف بالجزع لذلك والخوف. كل ما سواه تحت قهره سلطان ومتصرف عز إرادته وأمره. فهو الملهم نفوس المكلفين التقوى والفجور، وهو المتجاوز عن سيئات من شاء والآخذ بها من شاء هنا وفي يوم النشور. لا يحكم عدله في فضله ولا فضله في عدله. أخرج العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين، فقال هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي. ولم يعترض عليه معترض هناك، فقال إذ لا موجود ثم سواه هياكل تحت تصريف أسمائه ألاءه، ولو أراد سبحانه أن يكون العالم كله سعيداً لكان، أو شقياً لما كان من ذلك في شأن. لكنه لم يرد فكان كما أراد، فمنهم الشقي والسعيد هنا وفي المعاد. فلا سبيل لتبديل ما حكم عليه القديم. وقال تعالى هي خمس وهي خمسون ما يبدل القول لدىَّ وما أنا بظلام للعبيد لتصرفي في ملكي وإنفاذي مشيئتي في ملكي.

وذلك لحقيقة عميت عنها الأبصار والبصائر، ولم تعثر عليها الأفكار والضمایر، إلا بوهب إلهي لمن اعتنى به من عباده وسبق له ذلك برحمة أشهاده. فعلم حين أعلم أن الألوهة أعطت هذا التقسيم وأنه من دقائق القديم، فسبحان من لا فاعل سواه ولا موجود لنفسه إلا أياه. والله خلقكم وما تعلمون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. ولله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين.

الشهادة الثانية:

وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه وإياكم بالإيمان بمن اصطفاه واختاره واجتباه من وجوده ذلك سيدنا مُحَمَّد ﷺ الذي أرسله إلى جميع الناس كافة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً فبلغ ﷺ ما أنزل من ربه إليه وأدى أمانته ونصح أمته ووقف في حجة وداعه عل كل من حضر من أتباعه فخطب وذكر وخوف وحذر وبشر وأنذر ووعد وأوعد وأمطر وأرعد. وما خص بذلك التذكير أحداً من أحد عن إذن الواحد الضمد. ثم قال أهل بلغت. فقالوا بلغت يا رسول الله. فقال ﷺ اللهم أشهد وإني مؤمن بكل ما جاء به ﷺ مما علمت ومما أعلم. فمما جاء به وقرر أن الموت حق عن أجل مسمى عند الله إذا جاء لا يؤخر فأنا مؤمن بهذا إيماناً لا ريب فيه ولا شك، كما آمنت وأقررت أن القبر حق. وعذاب القبر حق. وبعث الأجساد من القبور حق. والعرض على الله حق. والحوض حق. والميزان حق.

وتطاير الصحف حق. والصراط حق. والجنة حق. والنار حق. وفريق في الجنة، وفريق في السعير حق. وكرب ذلك اليوم حق على طائفة. وطائفة أخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر. وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين وإخراج أرحم الراحمين بعد الشفاعة من النار من شاء حق. والتأييد للمؤمنين والموحدين في النعيم المقيم في الجنان حق. والتأييد لأهل النار في النار حق. وكل ما جاءت به الكتب والرسل. من عند الله علم أو جهل حق. فهذه شهادتي على نفسه أمانة عند كل من وصلت إليه أن يؤديها إذا سئلها حيث كان نفعنا الله وإياكم بهذا الإيمان وثبتنا عند الانتقال من هذه الدار إلى دار الحيوان، وأحلنا منها دار الكرامة والرضوان، وحال بيننا وبين دار سرابيلها القطران، وجعلنا من الذين أخذوا الكتب بالإيمان، وممن أنقلب من الحوض وهو ريان، وثقل له الميزان وثبت له على الصراط القدمان، إنه المنعم المحسان. لقد جاءت رسل ربنا بالحق فهذه عقيدة العوام من أهل الإسلام أهل التقليد وأهل النظر ملخصة مختصرة، والحمد لله وحده (تمت).